عروض موقعة

زيارة جديدة للاستشراق مع دراسة للرؤية الاستشراقية

هويدا على حسن

باحث أول

بدار الكتب والوثائق القومية

زناتى ، أنور محمود .

زيارة جديدة للاستشراق مع دراسة للرؤية الاستشراقية المنصفة للرسول صلى الله عليه وسلم/ أنور محمود زناتى .-ط١ .- القاهرة : مكتبة الأنجلو المصرية ، ٢٠٠٦ .

٢٩٩ص ؛ ٢٤ سم .

أحدث مؤلفات الكاتب:

١- موسوعة تاريخ العالم منذ توحيد القطرين وحتى أحداث ١١ سبتمبر وتداعياتها ؛ تاريخ مصر .

٢- الراشد «معجم المصطلحات الإسلامية» .

أثارت الظاهرة الاستشراقية جدلاً واسعاً فى مجال الدراسات الفكرية والحضارية ؛ فقد عملت على تشكيل العَقل الغربى والشرقى معاً . وكان لحركة الاستشراق قوة دفع ورواج أثارت قضايا فكرية متعددة أثرت فى الفكر الإنسانى .

ومن الصعب أن نجد مستشرقاً منصفاً ونزيهاً فى كتاباته عن الإسلام وكتابه السماوى ، وعن مبادئه ورسوله ﷺ ورجاله . وعن التاريخ الإسلامى وحوادثه الماضية لكل ما فيها من حلاوة أو مرارة . ويرى الدكتور محمود حمدى زقزوق أنه لا يزال الأوروبيون يستقون معلوماتهم عن الإسلام من كتابات المتخصصين وهم طبقة المستشرقين .

لقد حكمت الرؤية الاستشراقية موقف الغرب الفكرى والنظرى من الإسلام خلال القرون الأربعة الأخيرة . وحاولت الرؤيه الاستشراقية قراءة الإسلام ، وتفسير تاريخه ، وتحليل مدارسه الاجتهاديه مستندة إلى الموضوعية حيناً والتحامل أحيانًا لذلك حاولنا إبراز آراء الصفوة من المستشرقين الذين كتبوا بموضوعية عن الرسول محمد فى ثنايا أعمالهم لأن تلك الأقوال المنصفة سوف تظل جزءاً أساسياً من تراث الغرب ولابد من الاطلاع عليه ومعرفته ؛ فتناول هذه الشخصية عدد لا يحصى من الكتاب والباحثين والمفكرين والفلاسفة مسلمين وغير مسلمين واختلفت دوافع الكتابة عنها كما اختلفت تبعا لذلك زوايا النظر فكان منهم المنصف ومنهم المغرض . بغض النظر عن طبيعة تلك الكتابات ودوافعها ومراميها فإنها

تعد دليلاً على عظمة شخصية الرسول العربى ﷺ وامتلائها التاريخى . والعلاقة بين الشرق والغرب مثقله بتصورات مشوهة وأحكام متأصلة غير موضوعية وحاول الغرب أن يرسم صوراً غير سوية لشخصيه الرسول ﷺ خلال اصطدامه بالحضارة الإسلامية ووصل الأمر إلى أن بعضاً من المستشرقين شكك فى وجود النبى حقيقة . ومنهم من شكك فى اسمه وأميته ومنهم من قال إنه المسيح الدجال . ولذلك رأينا الصحيفه الدانماركية جيلاندس بوستن تسىء إلى الرسول ﷺ بل وتفخر بذلك وهذا يرجعنا إلى النظرة المتعصبة تجاه النبى محمد وذلك نتيجة التراكم العدوانى المغلوط الذى بدأ من بزوغ فجر الإسلام .

المستشرق الفرنسى المنصف كارادى فو فى كتابه المحمدية ظل محمد ﷺ والإسلام فلا تكاد توجد خرافة ولا فظاظة إلا ونسبوها إليه وكان الباعث هو الخيال الغارق فى الجهل- على حد تعبير المستشرق مكسيم رود نسون ، والكاتب البريطانى جان دوانبورت- على تأليف كتاب بعنوان «اعتذار لمحمد والقرآن» واعتذر فيه عن التصورات والأحكام التى كانت شائعة فى الغرب حول نبى الإسلام والقرآن الكريم . والمستشرق المجرى اليهودى المعروف بعدائه الشديد للإسلام يقول كان محمد ﷺ يريد إقامة دين الله الواحد كما جاء به إبراهيم . بالرغم من تعدد أغراض وأهداف الاستشراق الاستعمارية منها والدينية والتبشيرية إلا أنها لم تكن خالية من الفائدة العلمية . قام المستشرقون بجمع المخطوطات العربية والإسلامية وفهرستها ، ونشروها نشراً علمياً خالصاً ، وترجمو الآلاف من هذا التراث إلى اللغات العالمية وعرّفوا الآخرين بحضارتنا وتراثنا ومآثرنا وقدمو للفكر الإسلامى أشياء كثيرة نافعة لا يمكن تجاهلها . فكان الاستشراق فى حقيقته الأولى اتجاه دينى من أجل محاربة العقيدة الإسلامية . إلا أن عظمة هذا الدين وحضارته جعلت من بعض مفكرى أوروبا وعلمائها يدعون للنهل من هذه الحضارة فنتج عن ذلك ظهور أقلام منصفة للإسلام وحضارته ولرسوله الكريم ونحن لا نرفض دراسات المستشرقين فى مجال الفكر الإسلامى بل نتحاور معها بروح الموضوعية المنصفه ونتعامل معها على أساس الدراسة والنقد والتمحيص . ونحن نرحب بكل فكر ما دام ليس فيه عدوان على الإسلام . وهناك عدة أمور لابد أن نقر بها : إن الدراسات الاستشراقية مهما كانت موضوعية فى مضمونها ومحتواها إلا أنها لم تسلم من تعصب وهوى والعمل على خدمة نزعات دينية واستعمارية - لا تخلو هذه الدراسات من أخطاء لغوية وأحيانا علمية وتاريخية مقصودة وغير مقصودة - هؤلاء القوم مهما بلغت معرفتهم بلغتنا فإنه تغيب عنهم روح الشرق وعبقرية ألفاظه وتعبيراته التى تؤدى إلى معانى شتى ولذا نجد بعضاً من نتائجهم العلمية خاطئة ناهيك عن تعمد البعض منهم ذلك لا نتوقع منهم أن يتحدثوا عن الحضارة الإسلامية والرسول الكريم كما نتحدث نحن المسلمون بل يكفيهم هدمهم للخرافات المزرية التى أشيعت عن النبى الكريم فى العالم الغربى .

المعنى اللغوى لمفهوم الاستشراق هو مصوغ على وزن استفعال ومأخوذة من كلمة شرق . أضيف إليها ثلاثة حروف هى الألف والسين والتاء ومعناها طلب الشرق . أى طلب علوم الشرق وآدابه ولغاته وأديانه ، وجاء فى المعجم الوسيط شرقت الشمس شرقاً وشروقاً إذا طلعت وفى لسان العرب شرق : شرقت الشمس تشرق شرقاً وشروقاً : طلعت واسم الموضوع : المشرق . . . والتشريق : الأخذ فى ناحية المشرق . يقال : شتان بين مشرق ومغرب ، وشرقوا ذهبوا إلى الشرق ، وكل ما طلع من المشرق فقد شرق . أما فى اللغات الأوروبية المقصود بالشرق ليس الشرق الجغرافى وإنما الشرق المقترن بمعنى الشروق والضياء والنور والهداية . وفى اللاتينية تعنى كلمة Orient يتعلم أو يبحث عن شئ ما . وبالفرنسية تعنى كلمة Orienter وجه أو هدى أو أرشد ، وبالإنجليزية Orientation تعنى توجيه الحواس فى مجال الأخلاق أو الاجتماع أو الفكر أو الأدب . ومصطلح الاستشراق ليس مستمداً من المدلول اللغوى بل من المدلول المعنوى لشرق الشمس التى هى مصدر العلم .

أما المفهوم الاصطلاحى يعنى علم الشرق أو علم العالم الشرقى . والاستشراق ذلك التيار الفكرى الذى تمثل فى الدراسات المختلفة عن الشرق الإسلامى وشملت حضارته وأديانه ولغاته وثقافته .

والمصطلح المقابل للاستشراق هو الاستغراب وبضدها تتميز الأشياء وتعريفه علمياً أنه العلم الذى يهتم بدراسة الغرب من جميع النواحى العقدية والتشريعية والتاريخية والجغرافية والاقتصادية والسياسية والثقافية . ويرى الدكتور حسن حنفى أن مهمة علم الاستغراب هو القضاء على المركزية الأوروبية ، وبيان كيف أخذ الوعى الأوروبى مركز الصدارة عبر التاريخ الحديث داخل بيئته الحضارية الخاصة . ومهمته القضاء على أسطورة الثقافة العالمية التى يتوحد بها الغرب ويجعلها مرادفة لثقافته وهى الثقافة التى على كل شعب أن يتبناها حتى ينتقل من التقليد إلى الحداثة ؛ فالفن فنه ، والثقافة ثقافته ، والعلم علمه ، والحياة أسلوبه ، والعمارة طرازه ، والعمران نمطه ، والحقيقه رؤيته لذلك لابد أن ننتقل من مجرد دارسين لما قاله الغرب عنا إلى أن نعرف هذا الغرب وما دوافعه وأهدافه لذلك نستعرض أهم هذه الدوافع :

أولا : الدافع الدينى : بدأ بالرهبان ومن أشهر الرهبان الذين اهتموا بالدراسات العربية والإسلامية هو الراهب أدلارد أوف باث والراهب الشهير بطرس المبجل رئيس دير كلونى . وهؤلاء كان يهمهم أن يطعنوا فى الإسلام ويشوهوا محاسنه ويحرفوا حقائقه ليثبتوا أن الإسلام هو العدو الذى يتعين عليهم محاربته .

ثانيا : الدافع الاستعمارى : انبثق هذا الدافع من رحم الحروب الصليبية التى كانت أول تجربة استعمارية خاضتها أوروبا خارج حدودها ضد الشرق ؛ حيث اسقط الغرب الأوروبى ضعفه على الشرق العربى الإسلامى وبقدر ما كانت خسارة أوروبا البشرية الفادحة كانت مكاسبها

كبيرة فقد عادو بأحمال من نفائس الكتب والمخطوطات التى تعتبر وقود الحضارة ومستلزماتها . إذ كان الجند الصليبيون وقتها غير مؤهلين ولا مسلحين بأدوات الأخذ والاقتباس فلا أقل من أنهم شاهدوا بأعينهم أو لمسوا بأيديهم درجة الرقى والرخاء التى كان ينعم بها الشرق ، وكانت أوروبا تسبح فى بحر الظلمات .

ثالثا : الدافع الاقتصادى : كان له أثر فى تنشيط الاستشراق ورغبة الغربيين فى الاستيلاء على خيرات الشرق ، والنهل من أنهار اللبن والعسل التى دعاهم إليها إربان الثانى مشعل الحروب الصليبية . ورغبة منهم فى التعامل معنا لترويج بضائعهم وشراء مواردنا الطبيعية الخام بأبخس الأثمان ولم يتوقف الهدف الاقتصادى عند بدايات الاستشراق فهذا الهدف أحد أهم الأهداف لاستمرار الدراسات الاستشراقية .

رابعا : الدافع السياسى : فى كل سفارة من سفارات الدول الغربية ولدى هذه الدول سكرتير وملحق ثقافى يحسن اللغة العربية ليتمكن من الاتصال برجال الفكر والصحافة والسياسة ؛ فيتعرف إلى أفكارهم ويبث فيهم من الاتجاهات السياسية ما تريده دولته فكان لهذا الاتصال أثره الخطير فى الماضى ، فكان السفراء الغربيون يبثون الدسائس للتفرقة بين الدول العربية بعضها مع بعض وبين الدول العربية والإسلامية بحجة توجيه النصح وإسداء المعونة .

خامساً : الدافع الأيديولوجى : وهو الدافع الذى يدفع الإنسان إلى الجدال أو التنافس الفكرى المتواصل وتلك سنة الحياة . إلا أن الغرب قد أرسى قواعد أيديولوجيه خطيرة ؛ حيث استخدم كافه الوسائل المشروعة وغير المشروعة منها تحت مبرر الغاية تبرر الوسيلة . وفرق تسد وتحارب تسيطر . واكذب ثم أكذب حتى يصدقك الناس وتصدق أنت نفسك .

سادساً : الدافع العلمى : منهم من أقبل على الاستشراق بدافع من حب الاطلاع على حضارات الأمم وأديانها وثقافاتها ولغاتها وقامو بترجمة أمهات الكتب الإسلامية من العربية إلى الأسبانية ، والعبرية ، واللاتينية وبهذا أخذت أوروبا الظمأى تعب من منهل الإسلام ولا ترتوى .

وقد أفاد الاستشراق الثقافة العربية فوائد عديدة منها نشر الثقافة العربية فى أوروبا وترجمة كثير من كتب التراث العربى إلى اللغات الأخرى وكذا تصحيح فكرة الشعوب الأوروبية عن العرب والإسلام ، ولذلك نشر كثيراً من كتب التراث نشراً علمياً .

● الجذور والنشأة : أما عن بدايات الاستشراق فقد اختلفت الآراء حوله البعض يعود به إلى أيام الدولة الإسلامية فى الأندلس ؛ حيث تمثل فى إقبال المستعربين من الأوروبيين على دراسة العربية وجمع المعلومات عن المسلمين ، ثم ترجمة الكتب العربية إلى اللاتينية ويدل على وجود مدونات

إسبانية محملة بتأثيرات عربية مما يثبت أن مؤلفيها أخذوا مادتهم التاريخية وقواعدهم الحسابية من مصادر عربية . ولقد قام الاستشراق فى البداية على جهود فرديه لم تكن ذات تأثير على مجرى التفكير الغربى مما أدى إلى عدم اتخاذها نقطة بداية للاستشراق لدى بعض الباحثين ومن ثم فان اعتبار الحروب الصليبية التى بدأت التعبئة لها فى مجمع كلير مونت ١٠٩٥ على عهد البابا إربان الثانى هى البداية الحقيقية للاستشراق وترجع فى الأساس إلى أن الاستشراق قد تبلور كتيار فكرى . ولقد تنوعت أنماط ومناهج الاستشراق الدينى وأهم المستشرقين فيه هم يوحنا الدمشقى (٦٨٠- ٧٥٠م) ، بطرس المبجل (١٠٩٢-١١٥٦م) ، ريموندلول (١٢٣٥-١٣١٦) فى فترة العصور الوسطى وكل واحد منهم يمثل مرحلة مهمة على صعيد دراسة الشرق والإسلام بدأت مع الأول الذى دخل فى مجالات مع المسلمين . أما الثانى فقد أنجزت تحت رعايته أول ترجمة لاتينية للقرآن الكريم عام ١١٤٣م فى دير كلونى فى جنوب فرنسا . وارتبط الثالث بإقرار مجمع فينا الكنسى إنشاء كراسى لدراسة اللغة العربية فى كل من باريس وبولونيا فى عام ١٣١٢م ، وحرص لول على أن يتخذ قراراً كنسياً بإنشاء ست مدارس للغات الشرقية فى أوروبا . والهدف المشترك بين جهود الرجال الثلاثة هو دراسة الإسلام . وميشيل سكوت وهو اسكتلندى عاش ما بين عام ١١٧٥م وعام ١٢٢٦ ودرس فى أكسفورد وحصل على لقب العالم الرياضى وتعلم القرآن فى طليطلة بالأندلس وكتب عن الإسلام والمسلمين مما جعله حجة ، وقربه من البابوات والأباطرة وخاصة فريدريك الثانى ويعد ميشيل سكوت صاحب الفضل الأكبر فى تحرير الفكر الأوروبى من الجهود فى عصر الظلام الكنائسى وهو الذى فتح الباب على مصرعيه على نظرية ابن رشد التى تعيش عليها البشرية اليوم فى عقلانيه متجردة . والقديس توما الإكوينى فهو - وبرغم معارضته لآراء ابن رشد - لا ينكر فضل المسلمين من أتباع محمد فى تحرير عصور الظلام التى عاشتها أوروبا لتصنع التطور الفكرى للحضارة الإنسانية . ولقد شهد الاستشراق فى القرنين السادس عشر والسابع عشر ازدهاراً فى النواحى العلمية والدراسية المتخصصة . وأول مطبعة عربية فى أوروبا هى تلك التى أمر بإنشائها الكردينال فرناندودى مدتشى كبير دوقات توسكانا ومقر فى روما . والقرن السابع عشر فقد واكبه اهتمام خاص من طلائع المستشرقين الأولى فى الاهتمام بالدراسات الإسلامية والتراث العربى والإسلامى والإشراف على نشر هذه الكتب ومحاولة تصحيحها وعندما أقبل القرن الثامن عشر كان الاستشراق قد وطد أقدامه واستقل كيانه وتحددت معالمه إلى حد بعيد . وفى ١٧٩٨م جاءت الحملة الفرنسية على مصر وكان من نتائجها الاتصال المباشر المنظم بالشرق والكشف عن طريق المعاينة والمشاهدة عن أحواله السياسية والاقتصادية والاجتماعية . كما شهد القرن التاسع عشر اهتماماً أوروبيا بالشرق وظهرت أسماء معروفة فى دراسة الشرق ولغاته وحضارته بفعل دوافع سياسية مثل هنرى بالمر وريتشارد بيرتون وتشارلز دوتى والأول درس الجغرافية

والطبيعية البشرية لصحراء سيناء بعد احتلال إنجلترا لمصر عام ١٨٨٢ ، وظهرت دراسات جغرافية مثل دراسة كتشنر وكلود كوندر وكى لسترينج وريتشارد بيرتون الذى كانت له مصالح تجسدت عبر بلاده فى مناطق الوطن العربى وخاصة الجزيرة العربية ، وحينما دخل العالم أعتاب القرن العشرين جرت أحداث هامة أدت إلى تحويلات خطيرة فى العالم العربى والاستشراق وبدأ جيل جديد من المستشرقين يغوص فى أعماق الفكر والدين والأدب العربى ؛ فقد اتجهت عنايتهم بالإسلام وشعوبه وأوضاعه الفكرية والاجتماعية ، وقد تميز الاستشراق فى هذا القرن بإنشاء المراكز العلمية المتخصصة وتخصص كل مستشرق فى فرع معين من فروع المعارف الشرقية وانعقد العديد من المؤتمرات وأهم هذه المراكز فى فرنسا المعهد الفرنسى للآثار الشرقية فى القاهرة (١٨٨٠م) ، ومعهد الدراسات العليا فى تونس (١٩٤٥م) ، ومعهد الدراسات المغربية الرباط (١٩٣١م) ، المعهد الفرنسى فى دمشق (١٩٣٠م) . ويتبع السفارات الفرنسية فى أنحاء العالم مراكز ثقافية تقدم دورات فى اللغة الفرنسية والحضارات الفرنسية فى بريطانيا هى : مركز الدراسات العربية فى الشرق الأوسط ، كلية دلهى (١٧٩٢م- ١١٨٧م) ،كلية فورت ، وليم كلكتا بالهند (١٧٩٩م- ١٨٣٦م) . فى الولايات المتحدة الأمريكية : الجامعة الأمريكية- بيروت ، الجامعة الأمريكية- القاهرة ، الكلية الأمريكية ببيروت ، جامعة الشرق الأوسط باسطنبول بتركيا .

ومن أبرز وسائل المستشرقين لنشر أفكارهم :

١ . التحقيق والنشر وإصدار الكتب ، ومن أشهر دور النشر جامعة أكسفورد التى تطبع مئات الكتب كل عام حول العالم الإسلامى وقضاياه المختلفة ومنها على سبيل المثال موسوعة أكسفورد للعالم الإسلامى الحديث وتتكون من أربعة مجلدات .

٢ . إصدار المجلات : مجلات خاصة ببحوثهم عن المجتمعات الإسلامية ، كما أن الجمعيات الاستشراقية لها أيضا إصداراتها من الدوريات والمجلات ونذكر على سبيل المثال الجامعات الآتية التى لها دوريات مشهورة دورية : مدرسية الدراسات الشرقية والأفريقية بجامعة لندن ، دورية جسور تصدر عن مركز دراسات الشرق الأوسط بجامعة كاليفورنيا بمدينة لوس أنجلوس .

٣ . إنشاء موسوعة دائرة المعارف الإسلامية ، بعدة لغات وهى أوسع إنتاج موسوعى استشراقى من قِبل مستشرقين من جنسيات أوروبية مختلفة .

مدارس الاستشراق :

١ . المدارس الفرنسية : لعبت فرنسا دوراً هاماً فى الاستشراق منذ تأسيس مدرستى ريمس وشارتر لتدريس اللغة العربية واللغات التى تدرس هى العربية الفصحى ، والعامية ، ومن أهم أعلام تلك المدرسة : إرنست رينان ، لويس ماسينيون ، ليفى بروفينسال ، مكسيم رودنسون . ومن خصائص هذه المدرسة الشمول والتعدد ،

فتعرضت هذه المدرسة للشرق بأكمله على امتداده الجغرافى ولم تقتصر على بقعة واحدة . كما اهتمت بفقه اللغة العربية ولهجتها العامية . ولم تقتصر هذه المدرسة على دراسة تراث العرب فحسب ولكنها تناولت تراث الفرس والأتراك .

٢ . المدرسة البريطانية : يعد أدلاردأوف باث من أوائل الإنجليز الذين تعلموا العربية ودرس فى صقلية والأندلس ومصر ولبنان وتثقف بثقافة العرب إلى أقصى حد ممكن . وان أبا الدراسات العربية فى بريطانيا هو وليم بدول خريج جامعة كمبريدج وأستاذ العربية فيها . وأهم خصائص هذه المدرسة يمتاز الاستشراق البريطانى بارتباطه بالحركة الاستعمارية وترسيخ السياسات الاستعمارية الإنجليزية فى الشرق ، والاهتمام باللغة العربية نظراً لمصالح بريطانيا الاقتصادية والسياسية التى تربطها بالعالم العربى كما تتميز هذه المدرسة بالتعدد والشمول فى سائر الدراسات الشرقية كما تتميز بالتخصصية الدقيقة ؛ فكل مستشرق له تخصصه الدقيق فى أحد مجالات المعرفة الشرقية والاهتمام بدراسة المعارف الخاصة بالمنطقة الجغرافية .

٣ . المدرسة الألمانية : الاستشراق الألمانى يمتاز بالموضوعية والعمق ، وساهم المستشرقون الألمان بجمع ونشر وفهرسة المخطوطات العربية وخصوصاً كتب المراجع والأصول المهمة . كما وضع المستشرقون الألمان المعاجم العربية وقد ازدهرت الدراسات الاستشراقيه فى ألمانيا ، بفضل إنشاء كراسى لتعلم العربية فى ألمانيا وازدياد المكتبات الشرقية التى اكتظت بالآلاف من المخطوطات والمؤلفات العربية والشرقية النادرة ، وإنشاء المجلات المتخصصة منها : مجلة عالم الإسلام التى أنشأها مارتن هارتمان ومجلة إسلاميات التى أنشأها فيشر ، وبرز فى هذا المجال فريدريش روجار تلميذ المستشرق النمساوى جوزيف بورجشتا له ومن أهم اتجاهات المستشرقين الألمان :

١- الموسوعيون التراثيون وقد أنفقو سنوات عمرهم فى هذا التراث قراءة وتحقيقاً ونقداً وتحليلاً وأهمهم : بروكلمان ، وفرايتاج والشاعر والأديب ، فريدريك روكرت الذى اعتنى بشعر المعلقات ومقامات الحريرى وترجمة ديوان الحماسة لأبى تمام .

٢- المستشرقون التراثيون المتخصصون وأهمهم : أعضاء جمعية المستشرقين الألمان ، وتضم أكثر من خمسمائة مستشرق ، تنوعت الأبحاث بين التراث والمعاصرة ولكنها اتجهت نحو التخصيص .

ومن خصائص هذه المدرسة :

- عدم ارتباط الاستشراق بأهداف سياسية أو دينية .

- غلبة الروح العلمية والانصاف على توجهات هذه المدرسة .

- تعدد مجالات البحث وشموليتها لفروع المعارف الشرقية .

-الاهتمام بعلم الببليوجرافية وفهرسة المخطوطات ، وتصنيف ، وتحرير المعاجم العربية .

٤ . المدرسة الأمريكية : يعتبر عمر الاستشراق الأمريكى- قياساً بالاستشراق الفرنسى أو الهولاندى- قصير ، ويعد امتداداً واستمراراً للاستشراق الأوروبى وفى البداية كان اهتمام الولايات المتحدة الأمريكية منصباً على علوم اللغة العربية لمحاولة فهم اللغة العبرية لما بينهم من ارتباط فى الاشتقاق والبنية اللغوية لفهم التوراة . وأنشئت أول مدرسة لتعليم البنات داخل الإمبراطورية العثمانية وتطورت ، ثم اتخذت من بيروت مقراً لها وكان «واشنجتون إرفنج» من أوائل المؤرخين الأمريكيين الذين اهتموا بالدراسات الإسلامية ويعتبر كتابه «حياة محمد» من أفضل التراجم وأهم خصائص هذه المدرسة :

-كان الاستشراق الأمريكى على اتصال وثيق بالاستشراق البريطانى .

-والاهتمام الملحوظ بأحوال الشرق الاقتصادية والسياسية على حساب الجوانب اللغوية والأدبية والحضارية .

-التركيز على دراسات التاريخ الحديث .

-استقطاب الطاقات البشرية لخدمة الأمن القومى عبر الاستشراق .

- العناية بالدراسات الإقليمية .

-التركيز على العلوم الاجتماعية .

٥ . المدرسة الروسية : كان الاستشراق قويا فى روسيا ؛ حيث تعود الصلات بين روسيا والعالم الإسلامى إلى زمن الدولة العباسية ، وقد شجعت الحكومات الروسية فى العهود المختلفة دراسة التراث العربى الإسلامى وخاصة الذى يتعلق بالأقاليم الإسلامية ، لتوسيع المعرفة بالشعوب الإسلامية ومن أشهر المستشرقين الروس «كراتشكوفيسكى» الذى شغف منذ صغره بدراسة آراء المستشرقين ودراسة اللغة العربية .

ومن أهم خصائص المدرسة :

- الاهتمام بالأدب العربى بصفة خاصة .

- التذبذب الواضح بين الموضوعية الجادة والعداء السافر .

- الاستعانه بسكان آسيا الوسطى فى مجال الاستشراق .

- البعد عن الأغراض الدينية بل بث الأفكار الاشتراكية .

٦ . المدرسة الأسبانية : أول استشراق أوروبى ولد على أرض شبه جزيرة أيبيريا والعرب فتحو شبه

جزيرة أيبريا فى أوائل القرن الثامن الميلادى وقد اعتنق معظم أهلها الإسلام ولم يمض أقل من نصف قرن حتى تأسست فى أسبانيا دولة دينها الإسلام، ولغتها العربية وبعد صراع مرير بين الأسبان ومسلمو الأندلس قامت السلطات فى أسبانيا بإنشاء محاكم التفتيش وتحريم الإسلام على المسلمين وفرض عليهم تركة وحرم عليهم استخدام اللغة العربية والأسماء العربية، وارتداء اللباس العربى ومن يخالف ذلك يحرق.

أهم خصائص هذه المدرسة :

- التركيز على ما تبقى من الإنتاج الفكرى الضخم الذى تركه المسلمون فى أسبانيا بعد خروجهم من الأندلس.
- الدراسة العلمية القائمة على الوثائق والآثار.
- عمق التحليل والسلاسة فى العرض.
- التخصص فى مجال الحضارة العربية الإسلامية دون تطرق إلى مجالات الاستشراق الأخرى.
- الشمولية فى الدراسة أكثر من التخصصية.

٧. المدرسة الإيطالية : ترتبط إيطاليا بروابط تاريخية وجغرافية وثيقة بالشرق ومن أشهر مستشرقى هذه المدرسة كايتانى، الأمير ليونى وكان يتقن عدة لغات منها العربية والفارسية، ويعد كتابه الحوليات مرجعاً مهماً لكثير من المستشرقين.

أهم خصائص هذه المدرسة :

- بدأت لتحقيق أغراض دينية، ثم تطورت لتحقيق أغراض تجارية وسياسية واستعمارية.
- التركيز على الدراسات العربية والإسلامية.
- الاهتمام بجمع المخطوطات العربية.

٨. المدرسة الهولندية : اهتم المستشرقون الهولنديون باللغة العربية ومعاجمها، ومن أبرز المستشرقين «سنوك هرجرونيه» الذى ادعى الإسلام وذهب إلى مكة المكرمة، ثم رحل لإندونيسيا. «دوزى هولندى» الجنسية يرجع إلى إقليم دويزى وتعلم البرتغالية، ثم الأسبانية فالعربية. «أرندجان فنسنك» أستاذ للغة العربية فى جامعة ليدن وقام برحلات إلى مصر وسوريا واهتم بالحديث النبوى.

من خصائص هذه المدرسة :

- الشمولية المطلقة مكاناً ونوعاً إلى حد كبير.
- البعد الملحوظ عن التجنى والعداوة للإسلام مقارنة ببعض المدارس الأخرى.
- الكشف عن الحضارة الإسلامية فى أسبانيا والتراث الأندلسى.

السمات المشتركة للاستشراق :

- ولد الاستشراق فى أحضان الأندلس الإسلامية والتقاء الغرب بالشرق.
- عاش قرونا فى كنف الأيديولوجية الغربية وأحضان

الكنيسة متمثلاً فى ترجمات للقرآن الكريم والبعثات التبشيرية .

- لعب دوراً فى بناء نظرية الأيدلوجية الاستعمارية ومهد لها سبل استعمار الشرق عسكريا وسياسيا وفكريا .
- اهتم بإنشاء معاهد وجمعيات وأكاديميات متخصصة وعقد مؤتمرات ونشر مجلات ودوريات متخصصة فى مجال الاستشراق .
- الاهتمام بالعالم الإسلامى بصفة خاصة .
- يخلط الاستشراق بين الإسلام كدين وتعاليم ثابتة فى القرآن الكريم والسنة الصحيحة وبين الوضع المتردى للعالم الإسلامى .
- يعطى الاستشراق لنفسه فى دراسته للإسلام دوراً يمثل فيه المتهم والقاضى .

مجالات الاستشراق:

- القرآن الكريم : بدأ المستشرقون فى إصدار ترجمات لمعانى القرآن الكريم وظل هذا المشروع محل اهتمام ونشاط المستشرقين منذ أول ترجمة . ولم يكتف المترجمون بترجمة النص القرآنى بل أضافوا مقدمات أو فصول تحدثوا فيها عن القرآن الكريم . ومن المقدمات المشهورة مقدمة المستشرق الإنجليزى سال SALE وقد أساء فيها للقرآن الكريم . وأول وأقدم ترجمة كاملة للقرآن هى التى دعا اليها بطرس المبجل رئيس ديركلونى وتولاها بطرس غالى الطليطلى وهرمان الدلمانى بمقارنة عربى مسلم يدعى محمد ولا يعرف له لقب ولا كنية ولا أى اسم .
- الحديث الشريف والسنة : كان للحديث مكان فى دراسات المستشرقين باعتباره المصدر الثانى للتشريع لدى المسلمين بعد القرآن وفيها توضيحه وبيانه وبرز فى هذا المجال المستشرق المجرى اليهودى جولد تسيهر . كما أعقبة فريق من المستشرقين بوضع المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوى جمعو فيه كافة الأحاديث النبوية التى وردت بمختلف كتب السنة ورتبوها حسب الحروف الأبجدية مما يسهل الرجوع إلى أى حديث .
- اللغة العربية وآدابها : من اهتمامات المستشرقين دراسة اللغة العربية وآدابها وبخاصة فقه اللغة من خلال اهتمام باللهجات المحلية وما يسمى بالفلكلور ، ودعا بعض المستشرقين إلى العامية ووضع قواعد خاصة بحجة صعوبة اللغة الفصحى أو أنها قديمة أو كلاسيكية ، وبعض المستشرقين نادو بكتابة اللغة العربية بالأحرف اللاتينية . ومن القضايا التى اهتم بها الاستشراق استخدام اللغة الفصحى فى الإبداع الأدبى سواء كانت قصة أم رواية أم مسرحية .
- الفقه الإسلامى : للمستشرقين دراساتهم فى الفقه الإسلامى من ناحية أحكام الشريعة الإسلامية ، ومصادرها ، وتطور الدراسات الفقهية عند المسلمين . ودراسة الفقه تعطى المستشرقين الفرصة لفهم المجتمعات الإسلامية قديماً وحديثاً ؛ فهم يدرسون الأحكام الإسلامية فى

العبادات والمعاملات فى التشريعات الاجتماعية والفكر السياسى . ومن أبرز المستشرقين الذين كتبوا فى الفقه المستشرق جوزيف شاخت ؛ الذى حاول أن يأتى بنظرية جديدة حول أسس الفقه الإسلامى ، ونشر لبيانها عدة كتب ومقالات بالإنجليزية والفرنسية والألمانية . ووضع كتاب المدخل إلى الفقه الإسلامى . وكتابه «أصول الشريعة المحمدية» الذى يعد من أشهر مؤلفاته . لقد تدفقت جهود المستشرقين فى دراسة سيرة الرسول ﷺ ونبوته منذ فترة مبكرة فى تاريخ الاستشراق ، ثم تواصلت هذه الجهود حتى اليوم لتؤكد غلبة موقفهم المهاجم والمعادى من الرسول ﷺ ومن القرآن الكريم وقد تأثرت دراساتهم بكثير من العوامل كالكذب والافتراء .

أهم مناهج المستشرقين:

- منهج الأخذ بالنزعة التأثيرية : نزعة دراسية يأخذها كثير من المستشرقين الذين اعتادوا رد كل عناصر منظومة الإسلام بعد تجزئتها إلى اليهودية والنصرانية أو إليهما معاً . وهذه النزعة تشكل خطورة كبيرة على وحدة الفكر الإسلامى وأصالته لأنها تقضى على الأفكار الإسلامية قضاء مبرماً . والانشطارية تعنى الفصل بين القيم المتكاملة فى الفكر الإسلامى والقول بعجزها عن التفاعل والترابط وعدم قدرتها على الاستيعاب والتكامل . وأبرز ما وصلت إليه الانشطارية فى الفكر الغربى هو الدعوى إلى الانفصال بين الحاضر والماضى وهو ما يحاول بعض المستشرقين نقله إلى الفكر الإسلامى . وتتمثل سياسة تغريب الفكر الإسلامى من طرف الخطاب الاستشراقى فى حمل المسلمين على قراءة تاريخهم وفكرهم من خلال مناهج الغرب ومقاييسه ، ومحاولة خلق دائرة فكر تهدف إلى تحطيم المسلمات والبديهيات التى يؤمن بها المسلمون وانتقاص الفكر وإشاعة الشبهات والتقليل من أهمية التراث .

تصنيف المستشرقين:

- المستشرقون المنصفون : هم الذين أنصفوا أنفسهم أولاً قبل أن ينصفوا الحقيقة ، ولم يكلفوا أنفسهم سوى أن يكونوا موضوعيين فى تفكيرهم وفى أحكامهم ، فقادهم التفكير المنصف إلى قول الحق بل إن بعضهم دخل الإسلام طواعية ومنهم جوته أمير الشعراء الألمان عاشق الشرق ، وأكثر ما يميزه الاطلاع على الأدب العربى الثرى وألف ديوان . وأنا مارى شميل المرأة الشرق غربية كانت نموذجاً للذين أحبو الحضارة الإسلامية حباً صادقاً وقدمت خدمات رائعة للإسلام . توماس كارلايل الفيلسوف البطل . لامارتن الأوروبى المنصف هنرى دى كاسترى عاشق الآذان . الفيلسوف روجيه جارودى شهيد الحرية . موريس بوكاى طبيب الأديان . المستشرقة مارجريت ماركوس . الدكتور مراد هوفمام سفير الإيمان . الفيلسوف الفرنسى عبد الواحد يحيى .

- المستشرقون الأقرب للإنصاف وهم من استطاعو أن يتخلصوا من رواسب التعصب الغربى فأمنوا بحرية الرأى البناء .

- المستشرقون المتذبذبون من أمثال جوستاف لوبون . ومونتجمرى وات . وبرناردشو . إرنست رينان .

- المستشرقون المتعصبون هم من أصروا على إنكار أبسط القواعد المنهجية فى الكتابة من أمثال شاخت . وجولد تسيهر . وزويمر .

شهادات المنصفين الغربيين :

- المستشرقون الفرنسيون : إدوار بروى E. Perroy جاء محمد بن عبد اللّه يبشر العرب والناس أجمعين بدين جديد . ويدعو الله الواحد الأحد وعندما انتهى من دعوته كان قد انتهى من وضع نظام اجتماعى يسمو فوق النظام القبلى . مارسيل بوازار M. Poizar تسهم شخصية النبى ﷺ وأفعاله ، وتصرفاته ، وأقواله فى صياغة الروح الإسلامية ، لقد كان محمد ﷺ نبياً لا مصلحاً اجتماعياً ، وأحدثت رسالته تغيرات أساسية . بوكيه لم أجد مثلاً أعلى للحكم والأخلاق والإنسانية أوسع وأقوى من محمد ﷺ . هنرى بولانفلييه كان محمد ﷺ أداة اللّه التى قضى بها على العبادة الباطلة .

- المستشرقون البريطانيون : توماس آرنولد إن المعاملة الحسنة من ﷺ جعلت اسمه مألوفا لديهم وصيته دائمة فى كافة أنحاء شبه الجزيرة . جون أروكس لم نعلم أن محمد ﷺ تسربل بأية رذيلة مدة حياته لذلك نراه عظيماً . بودلى كان الرسول صادقاً نزل عليه الوحى للتبشير والإيحاء والتذكير . لويس توماس لا توجد أسرة فى الجزيرة العربية لا تسمى أحد أبنائها محمداً باسم محمد النبى . آرنولد توينبى لقد كرس محمد ﷺ حياته لتحقيق رسالته .

- المستشرقون الألمان : رودى بارت كان من رأوا فى النبى العربى أدلة الله ، ومشرعاً حكيماً ، ورسولاً للفضيلة . كارل هينرش بيكر لقد أخطأ من قال إن نبى العرب دجال أو ساحر لأنه لم يفهم مبدأه . يوهان رايسكه إن ظهور محمد وانتصار دينه من أهم أحداث التاريخ . باول شمتزومقه محمد فى حجة الوداع قرر حق الإنسان فى الحياة والتدين .

- المستشرقون الأمريكان : أورينج كان النبى خلوقاً ومفكراً عظيماً . واشنجتون إرفنج كان محمد خاتم النبيين وأعظم الرسل . ستانلى لين بول كان محمداً رؤوف شفيق يعود المريض ، ويزور الفقير . المسترسنكس ظهر محمد بعد المسيح بخمسمائة وسبعين سنة ووظيفته ترقية عقول البشر .

كما أننا نجد قائمه ببليوجرافية حول موضوع دراسة الاستشراق والمستشرقين . وقد قسمت هذه القائمة إلى :

- الكتب .
- المقالات .
- الرسائل الجامعية .
- الندوات والمؤتمرات .